

# **الفصل الخامس**

**التليفزيون الدولى**

عندما تم اكتشاف امكانيات الموجة القصيرة التي أتاحت لبرامج الراديو أن تنتقل عبر حدود الدول والقارات ، أطلق مارشال ماكلوهن مقولته المشهورة : لقد أصبحت الكرة الأرضية أشبه بالقرية الكونية<sup>(١)</sup> .

وحين ظهر التلفزيون ، تراجعت مساحة الاتصال الانساني ، وانعزل المواطن داخل حدود الدولة التي يعيش فيها .

وعندما اكتشف الفيديو تراجع الاتصال الإنسان أكثر لينحصر المواطن في بيته وداخل جدران حجرته . . ! ولكن تطور تكنولوجيا الاتصال ، عاد ليؤكد من جديد صحة مقولة ماكلوهن ، بعدما أمكن لبرامج التلفزيون أن تتخطى حدود الدول والقارات مستعينة بامكانيات الكمبيوتر والأقمار الصناعية .

وعادت الكرة الأرضية لتصير قرية كونية واحدة . ولكن في هذه المرة بالصوت والصورة والألوان الطبيعية . . وبدأ عصر التلفزيون الدولي .

ورغم أن التجارب الأولى لاختراع التلفزيون بدأت منذ عشرينيات هذا القرن ، مستفيدة من التقدم العلمي في ميادين متعددة ، الا أن أول ارسال لتلفزيوني منتظم تحقق في ١٠ نوفمبر ١٩٣٥م من برج ايפל بباريس . وفي ٢ نوفمبر ١٩٣٦م في بريطانيا ، أما في الولايات المتحدة الأمريكية فقد تم ذلك في عام ١٩٣٩ بمناسبة معرض نيويورك الدولي .

ويعجىء عام ١٩٥٠م أصبح لخمس دول خدمات تلفزيونية منتظمة ، وارتفع العدد في عام ١٩٥٥ الى ١٧ دولة وأصبح العدد ٦٠ دولة في عام ١٩٦٠ وفي عام ١٩٧٠م وجدت أكثر من ١٠٠ دولة تقوم ببث البرامج التلفزيونية ، وفي أوائل الثمانينيات انتشرت الخدمة التلفزيونية في ١٥٠ دولة حول العالم ، وبلغ عدد أجهزة استقبال التلفزيون حوالي ٤٠٠

مليون جهاز ومن المتوقع أن يكون العدد قد تضاعف مع بداية التسعينيات ، أما البلدان التي يزيد فيها عدد أجهزة التلفزيون عن المليون فقد ارتفعت في الفترة من عام ١٩٦٠م حتى عام ١٩٧٦م من ١٣ الى ٣٤ دولة من بينها مالا يقل عن تسعة بلاد يوجد بها أكثر من ١٠ ملايين جهاز وأصبح عدد أجهزة التلفزيون في معظم الدول الصناعية المتقدمة يقارب عدد الأسر في كل منزل<sup>(٢)</sup> ، وفي العام ١٩٨٥م وصل عدد البلدان التي يزيد فيها عدد أجهزة التلفزيون عن المليون حوالى ٦٠ دولة ، ومن بينها ١٥ دولة يوجد بها أكثر من خمسة ملايين جهاز و ١٢ دولة يوجد بها أكثر من ثلاثة ملايين جهاز وعشر دول يوجد بها أكثر من خمسة ملايين جهاز و ١٥ دولة يوجد بها أكثر من عشرة ملايين جهاز<sup>(٣)</sup> .

أما الاستخدام الدولي للتلفزيون فقد بدأ منذ فترة مبكرة من وجود ارسال تلفزيوني منتظم ، فمع بداية الخمسينيات كانت برامج التلفزيون في العديد من دول غرب اوربا تشاهد عبر الحدود في الدول الأخرى ، وقد حدثت نفس الظاهرة في امريكا الشمالية ، في كل من الولايات المتحدة الامريكية وكندا والمكسيك .

ولكن أول تبادل رسمي منظم للبرامج التلفزيونية بين الدول ، تحقق في ٢٧ أغسطس ١٩٥٠م بين بريطانيا وفرنسا ، عندما تعاون التلفزيون الفرنسى مع هيئة الاذاعة البريطانية على بث برنامج تلفزيوني لمدة ساعتين من فرنسا الى بريطانيا<sup>(٤)</sup> ، وفي يوليو ١٩٥٢ وقعت الدولتان اتفاقية لتبادل البرامج التلفزيونية حيث تم بعدها نقل الاحتفالات بتتويج الملكة اليزابيث الثانية في عام ١٩٥٣م الى فرنسا وعدد آخر من دول غرب أوربا<sup>(٥)</sup> ، وهو التعاون الذى أثمر بعد ذلك اقامة الشبكة الدولية للتلفزيون Eurovision والتي تضم الى جانب بريطانيا وفرنسا عددا آخر من دول غرب أوربا ومنها المانيا الاتحادية وايطاليا والنمسا<sup>(٦)</sup> .

وفي عام ١٩٥٩م أقامت الدول الاسكندنافية شبكة النوردفزيون Nordvision وهي التي تربط بين محطات التليفزيون في النرويج والسويد والدانمرك وفنلندا. وايسلندا<sup>(٧)</sup>.

وفي المقابل فقد أقام الاتحاد السوفيتي بالتعاون مع دول شرق أوروبا شبكة الانترفزيون Intervision في عام ١٩٦٠م ، وهي تربط بين محطات التليفزيون في الاتحاد السوفيتي وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمانيا الديمقراطية والمجر وبولندا ورومانيا ومنغوليا<sup>(٨)</sup>. وفي حالات كثيرة أمكن الربط بين شبكتي اليورفزيون والنوردفزيون لبث الأحداث العالمية الهامة . وفي بعض الحالات تم الربط بين شبكتي اليورفزيون والانترفزيون لبث الأحداث التي تهم الجمهور في كل من دول غرب أوروبا وشرقها ، ومن ذلك احتفال السوفيت باستقبال رائد الفضاء السوفيتي جاجارين في موسكو عام ١٩٦١م .

وقبل ذلك بعامين أمكن تحقيق أول ربط بين غرب أوروبا وأمريكا الشمالية ففي عام ١٩٥٩م تم نقل صورة تليفزيونية من أوروبا الى الولايات المتحدة الأمريكية عبر كابلات تليفزيونية في المحيط الاطلسي ، الا أن نقل الأحداث اثناء وقوعها عبر المحيطات والمسافات الشاسعة لم يتحقق الا بعد اطلاق أقمار الاتصال الصناعية Communication Satelies وهي عبارة عن محطات فضائية تدور حول الأرض عليها محطات استقبال وارسال لتلتقط الرسائل من المحطات الأرضية وتعيد ارسالها الى محطات أخرى .

وقد بدأ المعسكر الغربي تجاربه لاطلاق الأقمار الصناعية في عام ١٩٦٠م عندما استخدم سلاح البحرية الأمريكية القمر الطبيعي كمحطة توسط لارسال الاشارات والصور بين مدينة واشنطن وجزيرة هاواي . وفي عام ١٩٦٢م أطلقت الولايات المتحدة أول قمر صناعي للاتصالات

الفضائية وهو قمر Telstar وعن طريقه تحقق نقل أول برامج تليفزيونية بين الولايات المتحدة وشبكة اليورفيزيون ، وفي عام ١٩٦٤م تكونت الرابطة الدولية لأقمار الاتصال - The International Tele Communications Satellite Consortium. والمعروفة باسم انتلسات Intelsat وضممت ١٢ دولة ، وأطلقت الرابطة أول قمر صناعي لها باسم «Early Bird» في عام ١٩٦٥م واستمر العمل به لمدة عام<sup>(٩)</sup> ثم أطلقت الرابطة بعد ذلك عدة أجيال من الأقمار الصناعية باسم Intelsat والرابطة تضم الآن أكثر من مائة دولة وتغطي أقمار الانتلسات كافة أنحاء الكرة الأرضية وتخدم ٨٠ محطة أرضية في ٦٠ دولة .

أما تجارب المعسكر الشرقي في مجال اطلاق الأقمار الصناعية ، فقد بدأت في عام ١٩٦٠ عندما تمكن السوفيت من نقل صور حية لرائد الفضاء الكس ليونيف عن مركبة الفضاء Vostock 2 وفي عام ١٩٦٥م أطلق الاتحاد السوفيتي أول قمر صناعي باسم مولنيا Molniya والذي مكن من الربط بين الاتحاد السوفيتي ودول شرق اوربا وكوبا ومنغوليا ، وفتحت عضويته لكافة الدول ، وهو يشمل أقمارا صناعية تدور حول الأرض كل ١٢ ساعة . متخذة مسارا مرتفعا قوسى الشكل فوق نصف الكرة الشمالى ويخدم ٤٠ محطة أرضية ، ولقد أنشئ هذا النظام لمد خدمات الارسال التليفزيونى الى المناطق النائية في سيبيريا وآسيا الوسطى التى كان يمكن الوصول اليها بالشبكات الأرضية بصعوبة بالغة وبتكاليف باهظة ، وقد أصبح بالإمكان عند ارتباط شبكتى الأنترسبوتنك تغطية جميع أنحاء العالم بالارسال التليفزيونى .

وقد أتاح التطور التكنولوجى الآن امكانية إرسال البرامج التليفزيونية مباشرة الى أجهزة الاستقبال عن طريق الاستعانة بهوائيات خاصة . ولم يعد البث من الاقمار الصناعية يتطلب وجود محطات الاستقبال الأرضية ،

وبذلك أصبح إيجاد نظم تستخدم الأقمار الصناعية التي بمقدورها أن تبث البرامج التلفزيونية لأجهزة الاستقبال في البيوت ، وفي نفس اللحظة في جميع أنحاء العالم<sup>(١٠)</sup> .

ان ثلاثة أقمار صناعية على مسافة ٢٢,٣ ميل فوق الأرض يمكنها الآن أن تغطي الكرة الأرضية بأسرها .

## التبادل الدولي لبرامج التلفزيون

لقد أدى انتشار التلفزيون في معظم دول العالم ، وفي فترة قصيرة نسبيا الى ضرورة تبادل البرامج التلفزيونية بين الدول ، فان غالبية دول العالم لا بد أن تستورد نسبة ما من البرامج التلفزيونية لكي تملأ بها ساعات الارصال ، بل يمكن القول أنه لا توجد دولة في العالم لا تستورد قدرا ما من البرامج التلفزيونية بما في ذلك الدول المتقدمة في الفن التلفزيوني ، وعلى سبيل المثال فان الولايات المتحدة الأمريكية وهي الدولة الأكثر تقدما في انتاج البرامج التلفزيونية في العالم ، إلا أنها تستورد حوالي ٢٪ من العدد الاجمالي للبرامج التي تذيعها محطات التلفزيون الأمريكية التجارية وغير التجارية ، ويأتى الجزء الأكبر من البرامج التي تستوردها الولايات المتحدة من بريطانيا ، ويأتى البعض الآخر من كندا واليابان وفرنسا وألمانيا الاتحادية ، كما أنها تستورد أيضا بعض البرامج والأفلام من الاتحاد السوفيتي وشرق أوروبا وخاصة البرامج الموسيقية والأفلام الكلاسيكية غير المشوهة بالمسحة الأيدلوجية أو الدعائية .

أما دول غرب أوروبا ، وهي أيضا من الدول الأكثر تقدما في الفن التلفزيوني فانها تستورد ما بين ١٠٪ و ٣٠٪ من برامجها التلفزيونية من دول أخرى ، باستثناء فنلندا التي تستورد ٤٠٪ وإيرلندا ٥٠٪ وإيسلندا ٦٠٪ ، وتعد الولايات المتحدة أكبر مصدر للبرامج لدول غرب أوروبا مسجلة في المتوسط ٥٠٪ تليها بريطانيا ثم فرنسا وإيطاليا وأسبانيا ، وتبادل دول غرب أوروبا بانتظام وبمقادير متزايدة فقرات الأخبار والبرامج من خلال شبكة اليورفيزيون Eurovision التي يشرف عليها اتحاد الاذاعات الأوروبية ( E.B.U ) أما الاتحاد السوفيتي ودول شرق أوروبا فهي تتبادل البرامج من خلال شبكة الانترفزيون Itelevision والتي تشرف عليها

الهيئة الدولية للاذاعة والتلفزيون ( DIRT ) كما يتم التبادل بين الدول الخمس الاسكندنافية من خلال شبكة تلفزيون الشمال Nordivision<sup>(١١)</sup> ويلاحظ أن هذا اللون من التبادل الدولي لبرامج التلفزيون لا يشكل أخطارا سياسية أو اجتماعية أو ثقافية بالنسبة للدول المشتركة في هذا التبادل ، رغم تميز احدى الدول بلعب دور المركز الرئيسى فى الانتاج والتصدير ، مثل الولايات المتحدة بالنسبة لدول غرب أوروبا ، وذلك بسبب تشابه الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية داخل كل مجموعة ، فضلا عن أن كل منها يجمعها نظام سياسى واجتماعى وثقافى واحد تقريبا .

وهناك لون آخر من التبادل الدولى التلفزيونى وهو الذى يجرى بين الدول المتقدمة والدول النامية ، ويلاحظ أنه تبادل من جانب واحد ، فالكم الأكبر من البرامج التلفزيونية يذهب من الدول المتقدمة الى الدول النامية ، ومن النادر أن يحدث العكس أى أن تعرض الدول المتقدمة برامج تم انتاجها فى الدول النامية ، ويوما بعد يوم يتعاظم حجم المواد التلفزيونية المستوردة فى الدول النامية كلما زادت ساعات الارسال فى الدول التى بها خدمات تلفزيونية ، وكلما دخلت الخدمة التلفزيونية الى دول جديدة .

إن الدول النامية تجد نفسها بعد انتشار الخدمات التلفزيونية مضطرة الى استيراد البرامج الأجنبية لملء ساعات الارسال بها ، وذلك بسبب قلة خبرة هذه الدول بالانتاج التلفزيونى وعدم جودته بالمقارنة بما تنتجه الدول الأكثر قدما وتقدما فى مجال الانتاج التلفزيونى ، بل ان مغريات استيراد البرامج الأجنبية أكبر بكثير من الدافع الى انتاجها محليا ، ليس فقط بسبب قلة الخبرة والجودة ، وانما لأن استيراد البرامج الأجنبية أقل تكلفة من انتاجها محليا .

وهناك جانب آخر ، وهو تاريخي يعمق من تبعية الدول النامية براجميا للدول المتقدمة ، فالدول النامية تعتمد وبشكل يكاد يكون كاملا على صناعات ذات مكونات أجنبية في انتاجها التليفزيوني ، ذلك أن معظم الشركات التي تقوم بتصنيع الأجهزة اللازمة للانتاج والارسال والاستقبال تنتمي الى الدول الصناعية المتقدمة ، وتوجد ١٥ شركة غربية تسيطر بطرق مختلفة على الجزء الأكبر من عمليات صناعة التليفزيون وتتخذ لها مقرا في خمس دول وهي الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الاتحادية وهولندا واليابان وفرنسا<sup>(١٢)</sup> في حين كان الاتحاد السوفيتي يكاد يحتكر هذا الانتاج في دول المعسكر الشرقي ، وقد حدث في الخمسينيات والستينيات أن قامت الدول الصناعية الكبرى بتزويد الدول النامية بالمعدات والخبرة اللازمة لانشاء الخدمات التليفزيونية ، وكان من الطبيعي أن تتبع ذلك بتصدير البرامج اللازمة لاستمرار هذه الخدمة ، وقامت بعض الدول الكبرى بمساعدة بعض الدول النامية التي لم يكن في مقدورها الوفاء بنفقات اقامة الشبكات التليفزيونية ، وتنافست في هذا المجال العديد من الشركات الكبرى المتعددة الجنسية ، مثل تومسون الدولية للتليفزيون TTT ومشروعات التليفزيون الدولية TIE ومكتب التعاون الاذاعي CRA في باريس الذي اندمج مع اتحاد الاذاعة والتليفزيون الفرنسي O R T F وهيئة الاذاعة الوطنية العالمية NBC International والشركة الدولية للراديو والتليفزيون RTV وتقدم هذه الشركات للدول النامية محطات تليفزيونية كاملة وخبرة ادارية ودورات تدريبية في البرامج والاعلان للعاملين المحليين ، وفي أوائل الستينيات زودت شركة RCA الأمريكية محطات التليفزيون المصرية والسورية بالمعدات اللازمة ، وأوفدت الى كل منها خبيرا أمريكيا كان من الطبيعي أن ينصح باستيراد البرامج الأمريكية ، وقامت احدي الشركات البريطانية بلادخال

التلفزيون الى العراق وقامت بعد ذلك ببيع أجهزة الاستقبال وتلتها بتصدير البرامج<sup>(١٣)</sup> أما فرنسا فإنها لا تكتفى بمساعدة الدول المتحدثة بالفرنسية في آسيا وأفريقيا في ادخال الخدمة التلفزيونية ، وإنما تقدم بعض البرامج مجانا .

## سيطرة الدول المتقدمة على سوق التبادل الدولي لبرامج التلفزيون

إن التلفزيون يلخص أكثر من أى وسيلة اعلامية أخرى أوجه التقدم الذى أحرزته وسائل الاتصال فى ربع القرن الأخير ، لذلك كان من الطبيعى أن تحقق الدول المتقدمة سبقا بعيدا فى مجال الانتاج التلفزيونى ، وهو الأمر الذى مكنتها من السيطرة شبه الكاملة على سوق التبادل الدولى لبرامج التلفزيون .

ومما لا شك فيه أن الولايات المتحدة الأمريكية تملك أكبر عدد فى العالم من شركات الانتاج التلفزيونى ومن أجهزة الارسال والاستقبال ، وهى بالتالى أكبر مصدر لبرامج التلفزيون فى جميع دول العالم باستثناء الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوروبا وكوبا والصين . فالولايات المتحدة الأمريكية تملك حوالى ٩١٥ محطة تلفزيون و ٣٠٠٠ جهاز ارسال وبها حوالى ١٠٠ مليون جهاز استقبال فى ٦٥ مليون منزل ، وتمتلك المؤسسات التجارية بها حوالى ٧٠٠ محطة تلفزيون منها ٢٠٠ محطة تملكها الصحف والمجلات<sup>(١٤)</sup> ومنذ الستينيات أحرزت الولايات المتحدة تفوقا على كافة دول العالم فى مجال تصدير البرامج التلفزيونية بنسبة ٢ : ١ وقد بلغ اجمالى المبيعات الأجنبية من البرامج التلفزيونية الأمريكية حوالى مائتى ألف ساعة فى السنة ، وتصدر ثلث هذه الكمية الى دول أمريكا اللاتينية ، ويصدر الثلث الثانى الى دول الشرق الأقصى وشرق آسيا أما الباقى فيصدر الى غرب أوروبا وشرق آسيا ومنطقة الشرق الأوسط وأفريقيا .

وتوزع خدمات ومنتجات شبكة كولمبيا للاذاعة CBS فى مائة دولة فى خلال ٢٧ شركة فرعية فيما وراء البحار ولديها استثمارات فى ثلاث دول فى أمريكا اللاتينية تتمثل فى محطات برورتل Proartel فى الأرجنتين

وبروفتيل Prvoentel في فنزويلا وبانتيل Pantel في بيرو ، أما شبكة التلفزيون الأمريكية التابعة لشركة الاذاعة الأمريكية AB والمسماه ورلدفيزيون Worldvision فهي تصدر برامجها الى ٦٠ دولة ولها استشارات في عمليات التلفزيون في كندا وجواتيمالا والسلفادور وهندوراس وكوستاريكا وبنما وكولومبيا وفنزويلا واكوادور والأرجنتين ولبنان واليابان والفلبين وشيلي وبرمودا واستراليا .

أما الشركة الوطنية للاذاعة NBC والتي تعتبر امتدادا لشركة الالكترونات RCA فهي تصدر برامجها الى مائة وخمس عشرة دولة وتقوم بانتاج وتوزيع ١٢٥ مسلسلا لتلفزيونيا لتذاع في نفس الوقت في ٣٠٠ محطة تلفزيونية في ٨٣ دولة ، كما أنها تساهم بحصة في محطتي التلفزيون بالمكسيك ، ومحطة اذاعة وتلفزيون في كاركاس عاصمة فنزويلا ، وهي تعتبر واحدة من أهم حملة الأسهم في شركة الاتصالات بالأقمار الصناعية Comsal لذلك فهي تقوم بدور فعال في الهيئة الدولية لاتصالات الفضاء Intelsat (١٥) .

وتحتل بريطانيا المركز الثاني في تصدير البرامج التلفزيونية ، حيث تباع لمختلف دول العالم حوالي ٥٠ ألف ساعة من البرامج سنويا تحصل دول الكومنولث على ٢٠٪ من هذه البرامج بينما تحصل الولايات المتحدة الأمريكية ودول غرب أوروبا على ١٢٪ والباقي يصدر لدول العالم الثالث في آسيا وأفريقيا والأمريكيتين (١٦) .

وتصدر فرنسا حوالي ٣٠ الف ساعة برامجية في السنة وتحتل بذلك المركز الثالث في تصدير برامج التلفزيون بين دول المعسكر الأوربي ، وهي تباع برامجها الى ٨٥ دولة ، في حين تقدم البرامج الى عدد من الدول بدون مقابل وخاصة الدول التي تتحدث الفرنسية في أفريقيا وبعض

الدول النامية الأخرى التي لها علاقات وروابط وثيقة مع فرنسا ، وتستورد أفريقيا السوداء ٣٠٪ من البرامج الفرنسية ، في حين تستورد دول شمال أفريقيا العربية وحدها ١٠٪ من البرامج الفرنسية (١٧) .

ومن الدول الغربية المصدرة للبرامج التليفزيونية تحتل كل من ألمانيا الاتحادية ، وإيطاليا وهولندا وأسبانيا مكانا متميزا في هذا المجال ، حيث تصدر ألمانيا الاتحادية حوالي خمسة آلاف ساعة سنويا وتصدر إيطاليا حوالي أربعة آلاف ساعة وكذلك أسبانيا وهولندا ، وأغلبها يوجه الى الدول الأوروبية الأخرى وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية والشرق الأقصى والشرق الأوسط وعدد من الدول الأفريقية (١٨) .

أما اليابان فهي تصدر ثلاثة الاف ساعة سنويا الى الدول الآسيوية (١٩) ولكن مشكلة اللغة تحد من تطور الصادرات اليابانية رغم أن صادراتها من أجهزة التليفزيون تكاد تغطي كافة أنحاء العالم . أما في المعسكر الشرقي فان الاتحاد السوفيتي كان يحتكر انتاج وتصدير البرامج التليفزيونية الى دول شرق أوروبا وكوبا ودول العالم الثالث التي تخضع للنفوذ السوفيتي ، وتستورد دول شرق أوروبا ما بين ٣٠٪ و ٤٠٪ من برامجها من الاتحاد السوفيتي (٢٠) .

وإذا انتقلنا الى الدول النامية فسوف نكتشف ان المعادلة معكوسة ، اذ هي تستورد البرامج التليفزيونية ولا تصدر من انتاجها شيئا للدول المتقدمة ، فان أفريقيا مثلا تستورد دولها ما بين ٤٠٪ الى ٦٠٪ من برامجها من الخارج ، والباقي تعتمد فيه على الانتاج المحلي ، ان زامبيا ونيجيريا وغانا وأوغندا تستورد نصف برامجها ، وتستورد دول الشمال الأفريقي ٤٥٪ من برامجها ، أما الصومال والسنغال وغينيا فهي تستورد ٦٠٪ من برامجها ، في حين تستورد الكونغو وكينيا ومالي حوالي ٩٠٪ من برامجها ، وتستورد مصر ٢٠٪ من برامجها .

وتشكل البرامج الأمريكية نسبة تتراوح ما بين ٣٠٪ و ٧٠٪ من البرامج المستوردة في دول افريقيا في حين تمثل البرامج البريطانية حوالى ٢٠٪ والبرامج الفرنسية ١٥٪ و ٥٪ من بقية الدول الأخرى ومن بينها الاتحاد السوفيتى .

أما آسيا فتتراوح النسبة المثوية للبرامج المستوردة ما بين ٣٠٪ و ٧٠٪ بامسثناء الصين الشعبية والهند واليابان الذين يعتمدون على الانتاج المحلى ، ان ماليزيا وسنغافورة ونيوزيلنده تستورد ثلاثة أرباع برامجها تقريبا ، أما كوريا الجنوبية فتستورد ٩٠٪ من برامجها وتستورد الفلبين ثلثى برامجها<sup>(٢١)</sup> وفي غرب آسيا تبلغ نسبة الواردات ٥٠٪ من إجمالى البرامج ، وفي حدود هذه النسب يأتي أكثر من نصف البرامج المستوردة من الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(٢٢)</sup> وفي الأمريكتين تتراوح نسبة البرامج المستوردة ما بين ٤٠٪ الى ٨٠٪ ، وتستورد حوالى ٥٠٪ الى ٦٠٪ من هذه البرامج من الولايات المتحدة الأمريكية وحوالى ٣٠٪ من الدول المتحدثة بالأسبانية وهى المكسيك والأرجنتين و١٠٪ من اوربا الغربية وخاصة اسبانيا وايطاليا وفرنسا<sup>(٢٣)</sup> ففى الأرجواى نجد أن ثلث البرامج مستوردة وأكثر من ٦٠٪ منها يأتي من الولايات المتحدة الأمريكية ، أما شيلي والدومينيكان فان كل منها تستورد نصف برامجها ، وتبلغ نسبة البرامج الأمريكية فيها حوالى ٦٦٪ ، أما الأرجنتين وكولومبيا والمكسيك فتستورد ثلث برامجها من الخارج ، ٨٠٪ منها يأتي من الولايات المتحدة الأمريكية ، وتستورد جواتيمالا أكثر من ٨٠٪ من برامجها تبلغ نسبة البرامج الأمريكية فيها أكثر من النصف ، وتستورد بيرو ثلثى برامجها في حين تصل النسبة في كوستاريكا الى ٨٠٪ وفي الاكوادور ٧٣٪ ويبلغ نصيب البرامج الأمريكية فيها حوالى ٦٠٪ .

أما كوبا فهى لا تستورد سوى ٢٠٪ من برامجها وأغلبها يأتي من الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا ، اما الباقي فتعتمد فيه على الانتاج المحلى<sup>(٢٤)</sup> .

## مخاطر سيطرة الدول المتقدمة على برامج التليفزيون الدولي

ان سيطرة الدول الصناعية المتقدمة على سوق التبادل الدولي لبرامج التليفزيون يثير العديد من المخاطر والقضايا والمخاوف لدى العديد من الدول النامية ، ذلك أن نسبة كبيرة من البرامج التليفزيونية المتداولة دوليا ، تقدم كسلعة تجارية يتم تسويقها وبيعها كأى سلعة تجارية ، وقد نتج عن ذلك سيطرة النزعة الاستهلاكية في المجتمعات الغربية المتقدمة ، ومعيار نجاح الانتاج التليفزيونى هو حجم المبيعات والأرباح التى يحققها هذا الأنتاج ، لذلك فقد غلب على الانتاج التليفزيونى الجانب الترفيهى الذى يروق لأكبر عدد من المشاهدين ، وبالتالي تجتذب أكبر كمية من الاعلانات ، وانتشار هذا النوع من الانتاج التليفزيونى لا يخشى منه فقط على هيمنة الدول المتقدمة واضعافها للثقافات الوطنية فى المجتمعات النامية ، وانما من شأنه ان يدمر جوهر هذه الثقافات فى الوقت نفسه ، وعلى سبيل المثال فان برامج التليفزيون الامريكى أصبحت هى التى تحدد اسلوب انتاج البرامج فى العالم بأسره ، مثلما كانت هوليدو بالنسبة لصناعة السينما منذ ٤٠ عاما (٢٥) .

ان ثلاثة أرباع البرامج التى تصدرها الولايات المتحدة الأمريكية وثلى البرامج التى تصدرها دول غرب أوروبا من البرامج الترفيهية ، ومن المهم ان نشير الى ان عددا كبيرا من الدول تقبل على استيراد هذه النوعية من البرامج الترفيهية ، لصعوبة انتاجها محليا وارتفاع تكاليفها ، كما أن هناك تصورا بأنها أقل البرامج تأثرا بالدعاية السياسية ، كما أن الحل الأمثل عند كثير من الدول النامية لمشكلة شغل أوقات الارسال بتكلفة بسيطة هو المسلسل الأمريكى ، وذلك لرخص ثمنه وسهولة الحصول عليه ، ويمكن لكبار مصدري البرامج أن يزودوا الدول النامية بالبرامج بثمن بخس نظرا

لأن السوق المحلي وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية يغطي نفقات الانتاج (٢٦) .

ومن المظاهر الايجابية التي برزت في السنوات القليلة الماضية ، ارتفاع اصوات عديدة في المجتمعات المتقدمة نفسها تعترض على النوعية الهابطة لبرامج التلفزيون ، وقد سجلت العديد من الاستفتاءات التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية وفي بعض دول غرب أوروبا عدم رضاء نسب متزايدة من المشاهدين عن برامج التلفزيون ، وتشير أرقام هذه الاستفتاءات أن ١٢٪ من المشاهدين في الولايات المتحدة غير راضين عما يقدم من برامج في محطات التلفزيون الأمريكي ، وأن هناك ٥٣٪ من المشاهدين قلت نسبة مشاهدتهم لبرامج التلفزيون عما كانت عليه من قبل ، وفي بريطانيا تبين أن نسبة المشاهدة الى برامج التلفزيون قد انخفضت بمقدار ٢٧ نقطة طبقا لبيان ترتيب التقديرات ، كذلك أعرب ٥٤٪ من مشاهدى التلفزيون الفرنسى عن عدم رضائهم عنه (٢٧) .

ويشكل محتوى البرامج التلفزيونية الدولية إشكالية أخرى للعديد من الدول ، فغالبا ما تستخدم البرامج التلفزيونية لتحقيق الاستراتيجيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للدول الكبرى التي تنتج وتصدر هذه البرامج ، وغالبا ما تشكل هذه البرامج مراكز متقدمة داخل حدود الدول النامية يمكن للدول الكبرى من خلالها أن تمارس نفوذها وتروج لأفكارها وسياساتها ولأساليبها في الحياة ، وقد صرح ولسون دزارد ، وهو مسئول سابق بالوكالة الأمريكية للاستعلامات أمام لجنة تابعة للكونجرس ، أن كمية الصادرات من الأفلام التلفزيونية بلغت من الضخامة بحيث ان شاشة التلفزيون في العديد من البلدان أصبحت المصدر الرئيسى لعرض الصورة الأمريكية وأسلوب الحياة الأمريكى للملايين متزايدة من المشاهدين في هذه البلدان (٢٨) .

ومن ناحية أخرى فصورة أحداث العالم كما تنقل الى الدول النامية ، وصورة الحياة في الدول النامية كما تقدم للمشاهدين في أوروبا وأمريكا ، تتعرضان للتشويه والتحيز ، ويقول تقرير لاحدى لجان الكونجرس الأمريكى ، ان الولايات المتحدة تستطيع ان تحقق اهداف سياستها الخارجية ومصالحها الدولية من خلال التعامل مع شعوب الدول الاجنبية بدلا من التعامل مع حكوماتها ، فمن خلال وسائل الاتصال الحديثة وفي مقدمتها التلفزيون يمكن ان نصل اليوم الى قطاعات مؤثرة من السكان في هذه البلدان ، وان نقوم باعلامهم والتأثير فيهم وتغيير اتجاهاتهم بل يمكن في بعض الأحيان أن نحرضهم على سلوك طريق عمل معين ، وهذه المجموعات يمكن بدورها أن تمارس ضغوطا ملحوظة وحتى حاسمة على حكوماتها (٢٩) .

ومن الأمثلة على مقدار الضرر الذى يمكن أن تحققه بعض برامج التلفزيون الدولى ، سلسلة الأفلام التلفزيونية التى عرضتها القناة الثانية لهيئة التلفزيون البريطانى والتي أخرجها المخرج الفرنسى لويس مالى عن الهند ، فقد أثارت هذه السلسلة احتجاجات شديدة من جانب الهنود وغيرهم نظرا لمضمونها الذى انطوى على تحيز وعدائية بالغين (٣٠) .

وفي امريكا الجنوبية أجرى تحت اشراف اليونسكو بحثا ميدانيا عن التلوث الثقافى فى فنزويلا ، أوضح ان المثل الاعلى للبطولة بالنسبة للطفل الفنزويلى كان يتمثل فى شخصية امريكية فى ٣,٨٦٪ من الحالات ، فى حين لم تتجاوز نسبة الاطفال الذين تمثلوا شخصية فنزويلية ٧,٩٪ ، وكان هذا المثل الاعلى للبطولة يتحدث الانجليزية فى ١,٨٢٪ من الحالات والأسبانية فى ٧,١٤٪ من الحالات ، وكانت نسبة البطل الأبيض الى البطل الأسود فى مخيلة الاطفال ١١ : ١ ، وكان هذا البطل ثريا فى ٧٢٪ من الحالات التى أجريت عليها الدراسة (٣١) .

ومع تأكيدنا على كافة سلبيات التدفق غير المتوازن لبرامج التليفزيون الدولي ، فلسنا مع الذين يطالبون بمعالجة هذا الوضع عن طريق توقف الدول النامية تماما عن استيراد البرامج التليفزيونية من الدول المتقدمة ، فعوضا عن استحالة تنفيذ هذا الحل ، فانه ضار من ناحية المبدأ ، ذلك أن من شأنه لو تحقق ، اعاقا الاتصال الانساني عبر المجتمع الدولي ، فهذا الاتصال طالما طمحت اليه البشرية منذ عصورها الأولى ، اعتراضا يجب أن ينصب فقط على محتوى هذا التبادل غير المتكافئ بين الدول المتقدمة والدول النامية ، وعلاجه يتطلب جهدا دوليا مكثفا للتقليل من هذا الوضع غير العادل عن طريق المساعدة في انشاء شبكات تليفزيونية اقليمية في كافة مناطق العالم ، تقوم على التعاون المشترك بين المجموعات المتجانسة من الشعوب اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا ، وان يتم من خلال هذه الشبكات تبادل وتنسيق البرامج التليفزيونية ، وهذا الحل سبقت اليه الدول المتقدمة نفسها (٣٢) عندما أنشأت دول غرب اوربا شبكة اليورفزيون ، ثم أقامت الدول الاسكندنافية شبكة النوردفزيون وأنشأت دول شرق اوربا والاتحاد السوفيتي شبكة الانترفزيون (٣٣) . وبالرغم من أن العديد من الدول النامية قد أقامت اتحادات للراديو والتليفزيون ، فإن ضعف امكانياتها بالاضافة الى عوامل أخرى كالحساسيات والشكوك المترسبة عبر مراحل تاريخية سابقة ، قد حدت من حجم تبادل البرامج التليفزيونية بين هذه الدول التي تضمها هذه الاتحادات .

ان الدول النامية مطالبة أيضا باتخاذ الاجراءات اللازمة لتنويع مصادر برامجها التليفزيونية بالعمل على زيادة عدد الدول التي تستورد منها برامجها ، وأن تعمل على الاستيراد من الدول النامية التي حققت تقدما في مجال الانتاج التليفزيوني .

ولكن يبقى أن الحل الأمثل ، وهو أن تعمل كل دولة على تطوير انتاجها التليفزيونى مستفيدة من امكانياتها الذاتية ، قدر الامكان ، مستلهمة ابداعاتها الثقافية الخاصة وقد حققت بعض الدول النامية محاولات ناجحة فى هذا المجال ، فالهند ومصر قد تمكنتا بجهد ذاتى مدعم بتراث تاريخى وثقافى من تحقيق قدر كبير من التقدم فى مجال الانتاج التليفزيونى ، وفر لها شبه اكتفاء ذاتى من البرامج التليفزيونية ، بحيث لا يصل مجموع ما تذيعه محطات التليفزيون فى الهند إلى ١٢٪ من البرامج الاجنبية وتصل النسبة فى مصر إلى حوالى ٢٠٪ فقط . كذلك فقد استطاعت دول الخليج العربية ان تحقق انجازا ملحوظا فى مجال الانتاج البرامجى المشترك ، وخاصة فى مجال برامج الاطفال والأخبار والبرامج التنموية .

### تحديات البث المباشر عبر الاقمار الصناعية

لقد أصبح البث المباشر لبرامج التلفزيون على المستوى الدولي ممكنا بفضل الاقمار الصناعية ، وبامكان المشاهدين الآن في أى منطقة من العالم التقاط برامج التلفزيون التى تبث من خلال الاقمار الصناعية بدون حاجة الى المرور بالمحطات الأرضية ، وعن طريق الاستعانة فقط بهوائى معين أصبح متوافرا من الناحية التقنية، ورغم أن بعض الدول تمنع دخول هذا الهوائى أو تحول دون تصنيعه فى الداخل وخاصة فى الدول النامية ، فهو وضع مؤقت ، فضلا عن أنه من المتوقع ان تشهد السنوات القادمة انتاج أجهزة استقبال تليفزيونية مجهزة لالتقاط ارسال القمر الصناعى مباشرة دون حاجة الى مرور هذا الارسال بالمحطات الارضية ، ودون حاجة ايضا الى استخدام ذلك الهوائى الخاص وحينئذ لن يكون من الصعب تسرب هذه الأجهزة الى العديد من الدول التى تمنع استيراد الهوائى أو تحول دون تصنيعه ، والأهم من ذلك أن التجربة تؤكد ان التكنولوجيا الحديثة تنتشر بأسرع مما نتصوره ، وان ما يمنع منها اليوم ، سوف يسمح به غدا ، عندما تتأكد الحكومات والشعوب من حجم الفوائد التى يمكن ان تجنيها من هذه المخترعات .

ومما لاشك فيه ان استخدام الاقمار الصناعية فى البث التلفزيونى الدولى من شأنه إحداث طفرة كبرى فى الاتصال والاعلام الدولى يمكن ان تحقق العديد من الفوائد لكافة الدول . وبالنسبة للدول النامية ، فهى لن تحتاج الى إقامة الشبكات الارضية المكلفة اقتصاديا لايصال الخدمة التليفزيونية الى المناطق النائية بها وخاصة فى الدول ذات الارحاء الشاسعة والتضاريس الصعبة ، كذلك فمن الممكن إقامة نظم اقليمية للبث التلفزيونى بين عدد من الدول المتجانسة تتقاسم تكلفتها وتشارك فى الاستفادة من خدماتها .

ولكن البث التليفزيونى المباشر عبر الأقمار الصناعية قد يسفر عن أوجه أخرى قد تثير شكوك وخوف الدول النامية فهناك المخاوف السياسية. التى يمكن ان تنجم عن بث برامج معادية لأنظمة الحكم فى بعض الدول ، أو تصدير الافكار والايديولوجيات التى تهدد الاستقرار فى دول اخرى ، فضلا عن مخاوف لها ما يبررها قد تنجم عن بث افلام ومسلسلات تتبنى قيما وانماطا من السلوك الذى يتنافى مع قيم وتقاليد وعادات العديد من الشعوب فى الدول النامية .

وهناك احتمال ان تعزز الأقمار الصناعية من نماذج التدفق التقليدية فى مجال التليفزيون ، والتى تقوم على سيطرة الدول الصناعية المتقدمة على عمليات التبادل التليفزيونى الدولى ، وهو الأمر الذى يهدد بسيطرة ثقافة واحدة على المستوى الدولى ، مما يشكل خطرا على الثقافات الوطنية للدول النامية ، خاصة ان البث التليفزيونى المباشر عبر الأقمار الصناعية سيشيح فرصا واسعة لانتشار لغات الدول الصناعية المتقدمة وقد يحول بعضها الى لغات عالمية على حساب الاقليات اللغوية فى العالم الثالث . ومنذ فترة مبكرة حذر رينيه ماهى Rene Mahea المدير السابق لليونسكو من خطورة البث المباشر لبرامج التليفزيون عبر الأقمار الصناعية . وقال أن من شأن هذا البث أن يفرض رؤية واحدة بعينها للمعمورة على حساب حرية الانسان وثراء روحه التى طالما أسهمت فى نمو حضارتنا .

وفىما بعد أكد أولف هولتون Olof Hulton خبير الاعلام باليونسكو أن وجود الأقمار الصناعية لم يغير من نظام تدفق البرامج التليفزيونية بين الدول المتقدمة والدول النامية ، بدليل أن أكثر من ٩٠٪ من الأخبار التى تبثها شبكة الانتلسات والانترسبوتنك تأتى من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والدول الأوروبية .

فإذا كانت الاقمار الصناعية قد لعبت دورا ، فإنها قد عززت وضع عدم التكافؤ في التبادل التليفزيونى الدولى بين الدول المتقدمة والدول النامية ، وقد أثارَت هذه الاخطار اهتمام الأمم المتحدة والاتحاد الدولى للمواصلات السلكية واللاسلكية ومنظمة اليونسكو والحكومات وهيئات الاذاعة والتليفزيون الاقليمية والدولية ، فقامت بمناقشة الموضوع بهدف إرساء مبادئ أساسية والوصول الى اتفاقيات دولية تسمح بالاستفادة العادلة من بث البرامج التليفزيونية عبر الاقمار الصناعية وتسخيرها فى خدمة السريان الحر للافكار والتوسع فى التعليم وتنمية التفاهم والتبادل بين الشعوب فى إطار الاحترام المتبادل لسياسة الدول والتنوع فى الثقافات الوطنية .

ولا يسعنا إلا الاعتراف بأن كافة المحاولات الدولية لم تسفر عن شيء جدى حتى الآن لتصارع المصالح ، ولأن الدول الصناعية المتقدمة هى الأعلى صوتا والاقوى نفوذا. والأكثر تأثيرا .. !  
ولا مفر لنا من أن نتساءل :

لقد فشل المجتمع الدولى فى استخدام الراديو الدولى كأداة للسلام والتفاهم والتعاون بين الشعوب ، فقد ظهر الراديو مع بزوغ نجم النازية والفاشية فاستخدم أداة للدعاية والحرب النفسية طوال الحرب العالمية الثانية ، وعندما انتهت الحرب الساخنة تحول إلى أداة فى الحرب الباردة بين المعسكرين الغربى والشرقى .

ترى هل يكون للتليفزيون الدولى مصير أفضل خاصة أن البث المباشر لبرامج التليفزيون عبر الاقمار الصناعية يعم العالم مع بشائر زوال الحرب الباردة وبداية التفاهم بين القطبين الدوليين ؟  
سؤال سوف تجيب عليه السنوات القليلة القادمة .

## الهوامش

- (١) ماكلوهن . مارشال : كيف نفهم وسائل الاتصال - ترجمة خليل صابات ( الهيئة العامة للكتاب ) القاهرة - ١٩٦٨ م - ص ١٢ .
- (٢) ماكبرايد . شون : أصوات متعددة وعالم واحد ، الاتصال والمجتمع اليوم وغدا ( اليونسكو ) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر ١٩٨١ م - ص ١٤٣ ، ١٤٤ .
- (٣) Unesco: World Communication. (The Unesco Press). Paris. 1969. p.p. 12-
- (٤) Burto. Paulu: Radio and Television, broadcasting on European Continent. (University of Minnesota Press) U.S.A. 1967. P.P 36 - 39.
- (٥) Ibid. p.p. 37 - 39.
- (٦) Kivikuru. Ullamalja and Varis Tapio. Approches to International Communication. (Finnish National Commission for Unesco) Helsinki, 1986.P.P.118 - 122.
- (٧) Ibid. p.p. 121 - 213.
- (٨) Evans. Harold: Media In the Soviet Union and Easter Europe. (Heimmann) London . (٨) 1987. p.p. 93 - 97.
- (٩) بركلت . سهر : الأناذة الدولية ( الكويت ) ١٩٧٨ م ص ١٠٨ - ١١٢ .
- (١٠) اليونسكو : وسائل الاتصال في العالم ( وحدة اليونسكو الإقليمية لوسائل الاتصال للبلاد العربية ) القاهرة - ص ١٠ - ١٢ .
- (١١) المصدر السابق - ص ٧١ ، ٧٨ ، ٧٩ .
- (١٢) ماكبرايد . شون : أصوات متعددة وعالم واحد - ص ٢٢٧ .
- (١٣) مانكيكار . د . ر . : التلق الحر من جانب واحد ( اليونسكو ) ص ٨٦ - ٨٧ .
- (١٤) Smith. Williams: Television In America. (Hasting - House). New York. 1969. p.p. 117 - 122.
- (١٥) Ibid. p.p. 232 - 237
- (١٦) Thomson. Foundation: International Communication. London. 1968. p.p. 237 - 317.
- (١٧) Ibid. p.p. 312 - 317
- (١٨) Ibid. p.p. 342 - 346
- (١٩) Chalkley. Alan: Radio and Television in Asia. (Heimmann). London. p.p. 92 - 97.
- (٢٠) اليونسكو : وسائل الاتصال في العالم - ص ٨٣ .
- (٢١) مانكيكار . د . ر . : التلق الحر من جانب واحد - ص ٨٣ - ٨٤ .
- (٢٢) Chalk Alan: Radio and Television in Asia. p.p. 127 - 132.
- (٢٣) اليونسكو : وسائل الاتصال في العالم - ص ٨٣ .
- (٢٤) مانكيكار . د . ر . : التلق الحر من جانب واحد - ص ٨٣ .
- (٢٥) المصدر السابق : ص ٤٨ .
- (٢٦) المصدر السابق : ٨٦ .
- (٢٧) ماكبرايد . شون : أصوات متعددة وعالم واحد - ص ٣٦٣ .
- (٢٨) Blanchare, Robert: Congress and the News Media. (Hastings House). New York. 1974. (٢٨) p.p. 13 - 17.
- (٢٩) Ibid: p.p. 22 - 26.

- (٣٠) ماتيكار . د . ر . : التدفق الحر من جانب واحد- ص ١٣٣ .
- Santoro: Getting the Message Across. (Unesco). 1980. p.p.62-65. (٣١)**
- Heill. Faster: Communication in History. (The Macmillan Company). New york. 1978. (٣٢)**  
**p.p. 73-84.**
- Fang. Irving. E: Television News. (A Communication Arts Book Hasting House (٣٣)**  
**Publishers). New York. 1979. p.p. 27-33.**